قراءة

كوابيس من كوسوفو

خارج السكّة الظلام لا يلد نوراً

بتبسيط في اللغة والاسلوب يقرّبها من السرد المرتجل، تقصّ رواية الكوسوفي إبراهيم قدريّو، التي صدرت نسختُها العربية حديثاً بترجمة إبراهيم فضل الله، حكاية فتاة من كوسوفو متمرّدة على اوامر ابيها غريب الاطوار، منذ ان تحوّل الى متزمّت دينياً

محمد الاسعد

روايةٌ بسيطة هذه التي صدرت حديثاً في عمّان عن دار «الآن ناشرون وموزّعون» حديثاً، تحت عنوان «خارج السكة» للروائي الكوسوفي إبراهيم قدريّو، ومترجمها عن اللغة الألبانية إبراهيم فضل الله. هذه البساطة لا تقتصر على لغة الرواية وأسلوبها، بل تمتدّ حتى إلى تبسيط موضوعها الأكثر تعقيداً من مجرّد خروج جماعات تتّخذ الدين قناعاً على مسار مستقيم كاستقامة سكّة الحديد، في بلد صغير مثل كوسوفو، شهد مثلما شهدت شعوب البلقان بعد تمزّق يوغوسلافيا الاتحادية (بلد السلاف الجنوبيّين) تخريب مؤسّساته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية على مدار عدّة عقود. وسنرى أنّ هذا التبسيط سيجعلها أكثر شبهاً بحكاية من الحكايات التي يرويها القصّاصون الشعبيّون في عدد من بلدان البلقان، وهم يرتجلون حكاياتهم بمرافقة العزف على آلة الجوسلي ذات الوتر الواحد الشبيهة بالربابة. أعني أنّ كاتب هذه الرواية يكاد يبدو، بسبب بساطتها، أنه يرتجلها، وهو يعزف على وتر واحد؛ وتر هو - حسب كاتب مقدّمتها الباحث والمؤرخ محمد الأرناؤوط - «الجماعات الإسلامية المتشدّدة المدعومة من الخارج، التي خطفت الإسلام المتسامح الذي اعتاد عليه المسلمون في البلقان منذ أن أسلموا قبل قرون عدّة، لتروّج لإسلام متشدّد يدعو إلى «الجهاد» ويُجند الشباب لأجل «الجهاد» في بلاد الشام والعراق». تفتح هذه الرواية، كما يأمل كاتب المقدّمة، «أفقاً جديداً بتعريف القارئ العربي على آداب شعوب البلقان»، وخاصّة أنّ المبادر إلى هذا الفتح تعاونَ بين الناشر الأردني و«معهد الدراسات الشرقية» في بريشتينا بجمهورية كوسوفو، وهو معهد مصمّم على أساس «الاتجاه شرقاً»، كما يُفهم من عنوانه. فما الذي تُطلع هذه الرواية القارئ عليه؟ بتبسيط أيضاً، يوازي ما لاحظناه من بساطة في اللغة والأسلوب قزيتها من السرد المرتجَل، تقض الرواية منذ السطور الأولى حكاية الفتاة «ديبا»، ابنة «أغون ستريسي» المتمرّدة على أوامر أبيها غريب الأطوار منذ أن تحوّل إلى متزمّت أو متعصّب دينياً بالأحرى، والمنتمي إلى «جماعة» تخرج على الإسلام التقليدي الذي عرفه سكّان كوسوفو المسلمون، وتتبنّى ما يسمّيه الكاتب «إسلاماً وافداً» يراه انحرافاً أو «خروجاً عن السكة». وتعيش الفتاة وأمّها، والمجتمع هناك، كوابيس على شكل تطرّف ديني يأخذه إلى المجهول.

هناك شخصيات أخرى، مثل المحامية ل. ب. التي تقف عند مفتتح الرواية مدافعةً عن فتاةٍ قتلت أباها لأنه داب على اغتصابها واختَيها، ثمّ تلك السيّدة المتأنّقة المدعوّة أمينة تروبا التي تبدو وكأنها خرجت للتوّ من صفحات رواية «غادة الكاميليا» لألكسندر دوما، وهي تدخل في زيارة لأسرة «ديبا». إلّا أن هاتين الشخصيتين تغيبان بعد صفحات قليلة بلا سبب مفهوم، كما كان ظهورهما بلا سبب مفهوم أيضاً، اللهم إلّا لإلقاء تعليقات، كأن تُعلّق المحامية بالقول إنّ هذا «زمن الكلاب، زمن معيّا بدناءة الذكور وقسوتهم وعجرفتهم، الذين يعتقدون أنهم يملكون الحق والسلطة المطلقة للتصرّف في كل شيء حتى في الدين»، أو قول شبيهة غادة الكاميليا «أنت الرواية بسيطة بتعريف القارئ العربي على آداب شعوب البلقان»، وخاصّة أنّ المبادر إلى هذا الفتح تعاونَ بين الناشر الأردني و«معهد الدراسات الشرقية» في بريشتينا بجمهورية كوسوفو، وهو معهد مصمّم على أساس «الاتجاه شرقاً»، كما يُفهم من عنوانه. فما الذي تُطلع هذه الرواية القارئ عليه؟ بتبسيط أيضاً، يوازي ما لاحظناه من بساطة في اللغة والأسلوب قزيتها من السرد المرتجَل، تقض الرواية منذ السطور الأولى حكاية الفتاة «ديبا»، ابنة «أغون ستريسي» المتمرّدة على أوامر أبيها غريب الأطوار منذ أن تحوّل إلى متزمّت أو متعصّب دينياً بالأحرى، والمنتمي إلى «جماعة» تخرج على الإسلام التقليدي الذي عرفه سكّان كوسوفو المسلمون، وتتبنّى ما يسمّيه الكاتب «إسلاماً وافداً» يراه انحرافاً أو «خروجاً عن السكة». وتعيش الفتاة وأمّها، والمجتمع هناك، كوابيس على شكل تطرّف ديني يأخذه إلى المجهول.

هناك شخصيات أخرى، مثل المحامية ل. ب. التي تقف عند مفتتح الرواية مدافعةً عن فتاةٍ قتلت أباها لأنه داب على اغتصابها واختَيها، ثمّ تلك السيّدة المتأنّقة المدعوّة أمينة تروبا التي تبدو وكأنها خرجت للتوّ من صفحات رواية «غادة الكاميليا» لألكسندر دوما، وهي تدخل في زيارة لأسرة «ديبا». إلّا أن هاتين الشخصيتين تغيبان بعد صفحات قليلة بلا سبب مفهوم، كما كان ظهورهما بلا سبب مفهوم أيضاً، اللهم إلّا لإلقاء تعليقات، كأن تُعلّق المحامية بالقول إنّ هذا «زمن الكلاب، زمن معيّا بدناءة الذكور وقسوتهم وعجرفتهم، الذين يعتقدون أنهم يملكون الحق والسلطة المطلقة للتصرّف في كل شيء حتى في الدين»، أو قول شبيهة غادة الكاميليا «أنت

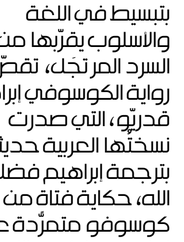

خيوط لم تتعقّد

تبدا خيوط الرواية بالانحلال في نهايتها، مع انها لم تتعقّد كثيرا، بل وبدا مسار احداثها كما لو انها لفيلم كرتوني للصغار. تتمكّن البطلة من الهرب وإبلاغ الشرطة عن مكان الغريب المختطف، ثم تمضي إلى بيت الشاب الذي سيكون شريك حياتها فتستقبلها امّه واختَه بابتهاج. ويختم الكاتب روايته كمن يتنفّس الصعداء: «أشرقت الشمس ضاحكة كدأبها منذ آزمان سحيقة، فاتحةً باهرة تمسح عن وجه الارض مكر الظلام بفيض من الوهج الشفيف».

تعريب

وَحدَة لا جفاءَ فيها

مصطفى قصقصي

كعادتها لا تكفّ اللغة العربيّة عن استبصارِها المُشرقِ:

كلمة وَحْـدَة تعني الانـفـراد والاتّحاد معاً، أي يذوب فيها التناقض بين وَحـدَة الذات وتلاحُم أجزائِها، بل يَغدو التناغمُ بين أجزاءِ الذات شرطَ وَحـدَتِـها بمعناها الأعمقِ والأصفى، وتصبح الوَحـدَةُ أو «القدرة على الوَحدَة» بلغة وينيكوت، المحلّل النفسيّ الإنكليزي، شرطاً من شروط تحقّق الذات وتخفّفِها من أعباء زيفِها وغربتها.

وَحـدَة ناجِحة هي وَحـدَة لا جفاءَ فيها بين الفردِ ونفسِه، ولا قطيعةَ فيها بين الذات والآخـريـن. وَحـدَة ناجِحة هي أن يكونَ الإنسانُ نسيجَ وحـدِهِ ونَسيج غيرِه. «الفردُ الصُّمُودُ» الحاضر في سؤال محمود درويش في جداريّته/ نشيد وَحدته القصوى.

وَحـدَةٌ ناجِحة هي وَحـدَةٌ لا يغيبُ عنها الآخـرون وإنّما يعبرونَها خِفافاً كغيمٍ أبيضَ في سماءٍ صيفٍ لا تُرهقُها الزرقة أبداً.

وَحـدَةٌ ناجِحة هي وَحـدَةٌ زرقاء.

من دخلها فهو آمِن حتى في زمن الوباء.

(شاعر واختصاصيّ نفسيّ عياديّ من فلسطين)

إبراهيم قدريّو

كاتب هذه الرواية يكاد يبدو، بسبب بساطتها، أنه يرتجلها

ينصرف تركيز العمل إلى مظاهر كوابيس التطرّف الديني

إطلالة

روايةٌ تغمض عينيها عن الدمار

التحريض على الأمل

لماذا لم تُقدِّم الرواية العربية بَعدُ عالماً موازياً لعالَم الدمار الواقعي الذي يحلّ منذ زمن يربو على خمسين عاماً في الواقع العربي؟

معدوح عزام

المراقِب لحال الرواية في الغرب سوف يلاحظ تياراً قويّاً فيها بات يُقدِّم صورةً قاتمةً عن المصير البشري، من خلال التنبُّؤ بخراب العالَم، وتصوُّر ما بعد الخراب، أو خلاله. ففي المجتمعات المتقدِّمة باتت الصناعات العسكرية، مثلاً، أو حتى التكنولوجية التي تُحقِّق قفزات مرعبة في مستوياتها العلمية، تثير ذعر الروائيين. إنهم يرغبون في كبحها، أو فرملتها، أو منعها من الاستمرار في هذا التقدُّم الذي لا يحمل في أحيان كثيرة بذرة أخلاقية. لهذا تزداد أكثر فأكثر النبرة المنذِّرة بالتكنولوجيا عبر محاولة التنبُّؤ بآثارها المدمِّرة التي قد لا ترتبط بأخلاق إنسانية رحيمة، أو يمكن أن تُعتبر أن الربح وحده هو المعيار الكافي للبقاء، بقاء المستغلّين.

والفارق بين العالم الغربي وعالمنا العربي واضح؛ إذ بينما يعيش الغرب أزهى مراحل تطوُّره العلمي داخل بلدانه، يغرق العالم العربي وسط دمار شامل علمياً وفكرياً وأخلاقياً. لا نجد في مجتمعاتنا العربية اليوم غير الحطام. لا الحرية بخير، ولا العدالة بخير، ولا توزيع الثروات، ولا الأوضاع المعيشية بخير، وقد فشلت جميع الثورات التي قام بها العرب لتحسين شروط حياتهم، وبدل أن تحلّ الديمقراطية المنشودة، ازداد عدد الطغاة، أو ازداد عنفهم وقوّتهم، ونشأت عصابات قتل وتشليح وتهريب وتسليح، وأُهدر القانون، وخُرّبت الأيديولوجيات، وانهارت الأحزاب، وتحطّمت الأخلاق والسياسات، وبات الملايين من العرب، ومن السوريّين خصوصاً، مهجّرين أو منفيّين أو مهدّدين بالجوع والعطش والحرمان من الضروريات في الحياة. هل توجد في أي بقعة من العالم صورة أكثر بشاعة وظلاماً وقهراً من هذه الصورة؟ لماذا لم تُقدِّم الرواية العربية بعدُ عالماً روائياً موازياً لعالَم الدمار الواقعي الذي يحل منذ زمن بعيد يربو على خمسين عاماً في الواقع العربي؟ وكيف يمكن لأي نظرية أدبية تتحدّث عن العلاقة بين الواقع والرواية أو عن تمثيل الواقع في الرواية أن ترى وضع الرواية العربية والروائي العربي أمام هذا الدمار الشامل؟

ونحن هنا إزاء احتمالَين في تحليل موقف الرواية العربية: إمّا أنها لا ترى الواقع جيّداً، وهي لذلك غير قادرة على التنبُّؤ أو لا تتجرّأ على التنبُّؤ في واقع غامض يقول إننا بتنا بلا أمل. وهذا مستبعد من جهة، وصعب جدّاً، وقاس للغاية كما أتصوّر، بل إنه يضع الرواية العربية أمام طريق مسدود، لا من حيث الموضوعات وحدها، بل من حيث التقنيات المبتكرة الممكنة. وإمّا أنّ الرواية (أو الشعر والفن العربي كلّه) لا تزال شابة وقادرة على اكتشاف أو التحريض على الأمل، وهي لذلك تغمض عينَيها عن الدمار المستمر (وهناك من بين الروائيّين من يندد بالديستوبيا).

تُحاول الرواية إعادة إنتاجَ حياة أخرى أكثر قيمة وعدالة

لا تسير الرواية أو الشعر والمسرح في نهج موازٍ للواقع تماماً، إذ إنّ الفنون لم تكن في أي يوم مجرّد مرآة تعكس ما فيه مادياً، دون أن ننكر أنّ عشرات الروايات العربية تُصوِّر جوانب من الخراب. تحاول الرواية أن تتعالى على الواقع، تُرمِّم ما تهدّم منه، ترتق الشقوق الكثيرة الفاضحة التي تُمزِّق جوانبه، تُعيد إنتاج حياة أُخرى أكثر قيمةً وعدالة، حياة تصلح للعيش فعلاً كما نشتهي ونتمنّى.

(روائي من سورية)

تفصيل من عمل لـ قيس سلمان

للقتال في سورية والعراق، تحت ستار إدارة جمعية خيرية.

ويسعى هذا الوافد إلى التقرّب منها وملاحقتها بل واختطافها، إلّا أنه يُخفق في محاولاته ولا تظلّ مظاهر هذا الكابوس خاصّةً بالفتاة وأهلها، بل تتّسع وتشمل قطاعات اجتماعية واسعة؛ فهذا «العنف الكامن بين أسوار البيت»، كما يقول الكاتب، «لن يمضي وقت طويل قبل أن يتمدّد إلى خارجها، فيُشكّل خطراً داهماً على المجتمع كلّه».

وفي متابعة لهذا التمدُّد، يسرد الكاتب عن طريق رسالة من أمّ مفجوعة حكاية اختطاف زوجها المصاب بلوثة ما يسمّيه «الجهاد» طفليها، الفتاة إيفا في التاسعة من عمرها، والطفل أندريت في السابعة من عمره، وأخذهما إلى ما يُسمّى «أرض الجهاد»، وتغيير اسميهما إلى «سارة» و«طلحة»! وتقمّص شابة كوسوفية حكاية اختطاف خطيبها لها والذهاب بها مع شابات أخريات إلى مناطق القتال في سورية، بحجّة «القتال في سبيل الله»، ثم تمكّنها بعد أيام مرعبة من الهرب بمساعدة شاب ألباني والعودة إلى وطنها.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

متابعة

شهادة على تأسيس السينما الفلسطينية

ذاكرة قاسم حوَل

يروي المخرج والروائي العراقي، في لقاء أقيم معه أول أمس، تفاصيل مرحلة وثّقها بالكاميرا وتشكّل ذاكرة لسنوات المقاومة الفلسطينية في لبنان

رام الله ـ العربي الجديد

على مدار نصف قرن، كان قاسم حول أحد الفاعلين في تأسيس ما عُرف بسينما الثورة الفلسطينية وسينمائيات عدد من البلدان العربية مثل اليمن وليبيا، رغم صعوبة ظروف الإنتاج ونقص الكوادر المؤهلة وشحّ الموارد أحياناً. ليراكم أرشيفاً لا يزال مادة مهمة للدرس وفهم السياقات الفكرية والسياسية التي أنتجت خلالها أفلامه، وهو ما يتحدث عنه في لقاء افتراضي الثلاثاء الماضي، بتنظيم من «مركز خليل السكاكيني» في رام الله.

يعود المخرج السينمائي والروائي العراقي (1940)، في اللقاء، إلى لحظة خروجه من المعتقل؛ حيث قرّر حينها مغادرة العراق، متوجّهاً إلى بيروت، في انتظار أن تُصدر السفارة البريطانية هناك تأشيرة سفر إلى الإمارات للعمل فيها، وفي أحد الأيام ذهب مع صديق لتناول الغداء في مطعم كان يقعُ بالقرب من «مجلة الهدف» فالتقى غسان كنفاني فيه.

مصادفة قادته للتعرّف إلى الروائي الفلسطيني (1936 -1972) الذي عرض عليه أن يذهب لمشاهدة مسرحية «أوكازيون» للكاتب اللبناني عصام محفوظ، وأعطاه نصّها أيضاً من أجل الكتابة عنها في «الهدف»، وحين أرسل «حوَل» مقاله حول العرض مكتوباً ومؤدّى، اتصل به كنفاني وحثّه على ألّا يسافر إلى أبوظبي واستطاع إقناعه بالعمل في المجلة، قائلاً: «تجوع معنا وتشبع معنا».

التحق صاحب فيلم «البد» (1972) بالقسم الثقافي، واشتغل محرّراً برفقة الكاتب محمود الريماوي، وبدأ تدريس التمثيل والإخراج والديكور المسرحي للأطفال في مخيم نهر البارد، ليجمع معايشاته فيه في فيلم وثائقي أنتجته «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» آنذاك بميزانية لم تبلغ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ليرة لبنانية، لافتاً إلى ذهابه إلى ألمانيا الشرقية لعرضه في أحد المهرجانات، وهناك احتجّ بسبب عدم رفع علم فلسطين ضمن أعلام البلدان المشاركة، ولم يعرض الفيلم إلى أن رُفع العلم، وكانت تلك أول مشاركة فلسطينية في مهرجان سينمائي دولي.

استطاع «حوَل» أن ينسج علاقات وثيقة مع سينمائيين من كوبا وفيتنام قدّموا أفلاماً وثائقية عن مقاومتهم للأميركان، والتي استعارها منهم وعرضها في المخيمات الفلسطينية بلبنان، ثم اكتشف خلال تلك الجولات تجارب سينمائية فلسطينية سبقت الثورة، ومنها تجربة إبراهيم حسن سرحان الذي التقاه ووثّق سيرته منذ صنع بمفرده جهاز تقطيع الأفلام «مافيولا»، بجانب جهاز للطبع ومعمل للتحميض، حيث أنتج فيلماً صامتاً مدته عشرين دقيقة، واتبعه بأفلام تسجل زيارة مسؤولين عرب إلى فلسطين خلال الثلاثينيات، وبعد إجراء «حوَل» مقابلات حيّة معه ودراسة حول أفلامه أصدر كتاباً بعنوان «السينما الفلسطينية» الذي يعدّ مرجعاً لبدايات السينما في فلسطين.

لقاؤه بغسان كنفاني في بيروت كان نقطة تحوّل أساسية في حياته

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

قاسم حول

فعاليات

ضمن برنامج **نادي الكتاب**، تُنظّم «مبادرة سوّال» حلقة نقاش في مقرّ «مؤسسة طابة» بالمقطم، في مصر، حول كتاب الباحث الفرنسي **رينيه جينو** (أو غينون ـ 1886 ـ 1951)، «أزمة العالم الحديث»، الذي وضع ترجمته **يحيى عبد الواحد**. يشارك في الحلقة، التي ستُنقل أيضاً عبر تطبيق «زووم»، الأكاديمي أسامة شفيع.

اليمن، ليبيا، سورية: الثورة أو الحرب، عنوان ندوة يعقدها افتراضياً، بين الحادية عشرة والنصف صباحاً والخامسة والنصف من مساء غدٍ، «معهد بحث ودراسات المتوسّط والشرق الأوسط» في باريس. تحاول الندوة فهم أسباب دخول هذه البلاد في «شتاء» طويل بعد بوادر الربيع العربي، ويشارك فيها كلّ من **ماغي غرابوندزيدا**، و**باتريك هايم زاده** (الصورة)، و**سلام كواكبي**.

بتنظيم من عدد من الجمعيات المهتمّة بالتراث العربي، تُقام افتراضياً بين الثالث والخامس من آذار/ مارس المقبل الدورة الأولى من مؤتمر **التراث بين العلوم الإنسانية والعلوم الأساسية**، بمشاركة العديد من المختّصين. يدور المؤتمر حول ستة محاور، من بينها: «العلوم الإنسانية وأثرها في التراث».

حتى الرابع من آذار/ مارس المقبل، يستمرّ في صالة «لو كوب» بالرباط، معرض **أرشيف محسوس**، الذي افتُتح في الثامن عشر من الشهر الجاري. يسائل المعرض معاني الأرشيف، ويشارك فيه كلّ من **هالة عمار** (الصورة)، و**مصطفى أزروال**، و**مبارك بوشيشي**، و**عبد الصمد المنتصر**، و**هيثم زكريا**، إضافة إلى **لورا سيماما**.